و ( ما ) موصولة وأكثر استعمالها فيما يكون فيه صاحب الصلة غير عاقل . وأطلقت هنا على معبوداتهم من الأصنام والجن والشياطين تعليبا على أن ( ما ) تستعمل فيما هو أعم من العاقل وغيره استعمالا كثيرا في كلام العرب .

وكانت أصنامهم ومعبوداتهم حاضرة في ذلك المشهد كما دلت عليه الإشارة ( لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ) .

والحصب : اسم بمعنى المحصوب به . أي المرمي به . ومنه سميت الحصباء لأنها حجارة يرمى بها أي يرمون في جهنم كما قال تعالى ( وقودها الناس والحجارة ) . أي الكفار وأصنامهم .

وجملة ( أنتم لها واردون ) بيان لجملة ( إنكم وما تعبدون من دون ا حصب جهنم ) .

والمقصود منه : تقريب الحصب بهم في جهنم لما يدل عليه قوله ( واردون ) من الاتصاف بورود النار في الحال كما هو شأن الخبر باسم الفاعل فإنه حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال .

وقد زيد في نكايتهم بإظهار خطئهم في عبادتهم تلك الأصنام بأن أشهدوا إيرادها النار وقيل لهم : ( لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ) .

وذيل ذلك بقوله تعالى ( وكل فيها خالدون ) أي هم وأصنامهم .

والزفير : النفس يخرج من أقصى الرئتين لضغط الهواء من التأثر بالغم . وهو هنا من أحوال المشركين دون الأصنام . وقرينة معاد الضمائر واضحة .

وعطف جملة ( وهم فيها لا يسمعون ) اقتضاه قوله ( لهم فيها زفير ) لأن شأن الزفير أن يسمع فأخبر ا بأنهم من شدة العذاب يفقدون السمع بهذه المناسبة .

فالآية واضحة السياق في المقصود منها غنية عن التلفيق .

وقد روى ابن إسحاق في سيرته أن رسول ا A جلس يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد الحرام فجاء النضر بن الحارث فجلس معهم في مجلس من رجال قريش فتلا رسول ا عليهم ( إنكم وما تعبدون من دون ا حصب جهنم أنتم لها واردون ) ثم قال رسول ا وأقبل عبد ا بن الزبعرى السهمي قبل أن يسلم فحدثه الوليد بن المغيرة بما جرى في ذلك المجلس فقال عبد ا بن الزبعرى : أما وا لو وجدته لخصمته فاسألوا محمدا أكل ما يعبد من دون ا في جهنم مع من عبدوهم ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد عيسى ابن مريم . فحكي ذلك لرسول ا فقال رسول ا : إن كل من أحب أن يعبد من دون ا فهو مع من عبده إنهم إنما يعبدون الشيطان الذي أمرهم بعبادتهم فأنزل ا ( إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ) اه .

وقريب من هذا في أسباب النزول للواحدي وفي الكشاف مع زيادات أن ابن الزبعرى لقي النبي A فقال وزاد هذا فذكر وأن مكرمون عباد الملائكة أن تزعم ألست البنية هذه ورب خصمت : وزاد هذا فذكر عيسى عبد صالح وأن عزيرا عبد صالح وهذه بنو مليح يعبدون الملائكة وهذه النصارى يعبدون المسيح وهذه اليهود يعبدون عزيرا فضج أهل مكة " أي فرحا " وقالوا : إن محمدا قد خصم . ورويت القصة في بعض كتب العربية وأن النبي A قال لابن الزبعري : ما أجهلك بلغة قومك إني قلت ( وما تعبدون ) و ( ما ) لما لا يعقل ولم أقل ( ومن تعبدون ) .

وأن الآية حكت ما يجري يوم الحشر وليس سياقها إنذارا للمشركين حتى يكون قوله ( إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ) تخصيصا لها أو تكون القصة سببا لنزوله .

( إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون [ 101 ] لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون [ 102 ] لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون [ 103 ] ) جملة ( إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ) مستأنفة استئنافا ابتدائيا دعا إليه مقابلة حكاية حال الكافرين وما يقال لهم يوم القيامة بحكاية ما يلقاه الذين آمنوا يوم القيامة وما يقال لهم . فالذين سبقت لهم الحسنى هم الفريق المقابل لفريق القرية التي سبق في علم ا إهلاكها ولما كان فريق القرية هم المشركين فالفريق المقابل له هم المؤمنون . ولا علاقة لهذه الجملة بجملة ( إنكم وما تعبدون من دون ا حصب جهنم ) ولا هي مخصصة لعموم قوله تعالى ( وما تعبدون من دون ا ) بل قوله تعالى ( الذين سبقت لهم منا الحسنى ) عام يعم كل مؤمن مات على الإيمان والعمل الصالح .

A E